



فاطمة ناصر

## أمريكا: سياسة المشط والدين

لا أعرف الكثير عن دور الدين في أمريكا وما يلعبه على الساحة العامة. ولعل هذا يعود لانعدام الإثارة. فإن ثمة دوراً للدين يلعبه في الساحة العامة الأمريكية، فهو شديد الهدوء والمسالم لدرجة أدت أن أمثالي لم يلحظوا أن له دوراً أساساً. وإن لم يكن له دور، فهذا أمر غير مدهش في دولة ديمقراطية كأمریکا! ولكن المدهش حقاً أن يكون له دور كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية الأمريكية، دون أن يكون له صوت عال أو ذراع أخطبوطية تحاول تسيير البشر كما تشاء. كما يتضح في مقال (دور الدين في الولايات المتحدة على الساحة العامة) بمجلة التسامح للكاتب الأمريكي تموثي. جي. ديمي وهو متخصص في أخلاقيات الحرب، وكان يعمل في البحرية الأمريكية، وله كتاب مهم اسمه (الحرب والسلام و المسيحية)، بالإضافة إلى كتابات كثيرة حول المسيحية والأخلاق والتاريخ. والمتتبع لهذه الكتابات سيجد أن الكاتب هو أمريكي مسيحي ملتزم.

فكما يقول الكاتب أن أبرز آثار العلمانية والعولمة يكمن في: ١. التعددية الدينية: لقد تعدد المشهد الديني في أمريكا، ولكن هذا التنوع أصبح يتأثر أيضاً بالعولمة والعلمانية. ونرى أن سلطة السوق وهيمنتته فرضت نفسها فزاد التنافس الديني وتعددت المعروض فيه أيضاً. لهذا وكما أسلفنا نرى اختلاف التصنيفات في الإحصائيات الدينية: فبعد أن كان هناك من يصنف نفسه كمسيحي، نرى اليوم تفرع هذا الصنف: إلى مسيحي ممارس للدين وآخر غير ممارس. ونرى وجود اللاأدري والذي لا يصنف نفسه لأي دين. وآخر روحاني مؤمن ولكنه غير تابع لدين معين، وآخر ملحد وغيرها من التصنيفات. لا يتناول الكاتب أن من آثار هذا التنافس في السوق الدينية الأمريكية ظهور معتقدات دينية جديدة، وهذه الظاهرة تختص بها أمريكا عن غيرها. في كل الأحوال سأضيف بدوري هذه النقطة الهامة. ظهور ديانات مثل: scientology (دين العلم أو العلوم) والذي يعود إلى عام ١٩٥٤، وغيره العشرات من الديانات المستحدثة التي تنشأ وتعيش وتزدهر بجانب الديانات القديمة دون تمييز أو صدام.

٢- روحانية الممارسة الدينية: حيث يخوض الفرد تجربته الدينية الخاصة دون أن يولد كجزء من نظام ديني تم تحديده له بشكل مسبق، ودون أن يكون مجرد تابع ضمن حشود المؤمنين.

### الناس سواسية كأسنان المشط

وهنا ختام القول، لم يقل الرسول «المسلمون» سواسية كأسنان المشط، بل قال «الناس» سواسية. وللأسف حتى المسلمين ليسوا كأسنان المشط في البلدان الإسلامية، ولكنهم يصبحون كذلك بمجرد حصولهم على بطاقة أمريكية خضراء لا تفرق في حقوقهم بين مسيحي أو بوذي أو لاديني الجميع لهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا في دولة السواسية.

أمريكا معروفة بوضعها الديني الاستثنائي، الذي لا يشابه حال الدول الصناعية الكبرى خاصة في أوروبا. فالدور الذي يلعبه الدين في كافة مناحي الحياة الأمريكية كبير وآثاره واضحة وجليّة. المثير في هذه الدراسات إنها تتعمق وتكون أسئلتها أكثر تفصيلاً سنة بعد أخرى. وذلك لأسباب عديدة أهمها: الحصول على أدق بيانات ممكنة. فإن كان السؤال في سنوات سابقة يبحث عن نسبة المسيحيين، فهو اليوم يبحث عن نسبة المسيحيين المؤمنين بوجود «الخالق»، والمسيحيين المؤيدين للصلوات، وأولئك غير الممارسين للطقوس الدينية. وبمقارنة النسب نجد أن وضع الأديان في أمريكا لا يزال قوياً رغم التراجع. فعدد المؤمنين تراجع من ٩٢٪ في عام ٢٠٠٧ إلى ٨٩٪ في ٢٠١٥. وهذه المؤشرات لم تؤثر على الوضع العام. فلا زال الدين يلعب دوراً كبيراً في الحياة السياسية، وها هي «هيلاري كلينتون» تلعب بالورقة الدينية لتكسب تأييداً شعبياً لها، وتصرح أن كتابها المفضل هو الإنجيل. وفي مقال الكاتب نرى أنه يفصل في الأدوار التي يلعبها الدين على كافة المستويات: السياسة العامة لأمريكا، القانون، السياسة الخارجية، والقضايا الاجتماعية. وعلى الرغم من بروز الآراء الدينية حول هذه القضايا، وما يقابلها من قوة مضادة من: العولمة والعلمانية، إلا أن الوضع العام هادئ، فمن الطبيعي جداً أن ترى مؤيدين ومعارضين القضايا الشائكة: كالمثلية، والإجهاض، والقتل الرحيم. ينظمون التظاهرات لعرض وجهة نظرهم دون وجود تصادم بينهم. ومن المهم أن نذكر نقطة هامة ألا وهي: تأثير الزمن على هذا النوع من القضايا. فبين فترة كتابة المقال الأصلي حين كان الكاتب يعتبر قضية زواج المثليين مسألة غير محسومة. نجد اليوم أنها قد حسمت بحكم المحكمة العليا وجاء القرار بالسماح بالزواج المثلي في أمريكا. وتقبل الجميع القرار مع احتفاظ المعارضين بوجهة نظرهم، دون أن ينزف جرح واحد من أي مؤيد أو معارض.

- الولايات الأمريكية أمة واحدة تحت عرش الله» من: قسم الولاء.

يبدأ الكاتب مقاله بالحديث عن هذا ترديداً شفهياً يتلى على نطاق واسع في الكثير من المدارس والمؤسسات والمحافل. ويقول إن هناك طعوناً قانونية من بعض المعارضين لترديد هذا القسم، خاصة في المؤسسات التابعة للدولة، وذلك لأنهم يرون تعارضه مع مبادئ الدولة ودستورها الذي ينص صراحة على فصل الدين عن الدولة.

ولكن الكاتب يقول إن كلمة «الله» لم ترد فقط في هذا القسم، ولكنها مطبوعة على أغلب العملات النقدية، ويأتي ذكرها بأشكال مختلفة، ولعل أبرزها جملة «في الله نتق». ورغم هذا الحضور للإشارات الدينية، نرى أن المجتمع الأمريكي ينعم بالتعددية الدينية واللا دينية ولا يشكل أي من الطرفين تهديداً لحياة الآخر.

ولعل الكثيرين يعتقدون أن حال الدين في أمريكا كحالها في أوروبا، إلا أن الوضع الديني في أمريكا مختلف جداً. فالدين يأخذ حيزاً كبيراً في حياة معظم الناس. وأن النسب تظهر أن ما يقارب ٨٥٪ من الأمريكيين يصفون أنفسهم بأنهم مسيحيون. ومنهم أكثر من ٣٥٪ يحضرون الصلوات أسبوعياً (حسب إستطلاع مجلة نيوغزيك بتاريخ ٥ سبتمبر ٢٠٠٥).

لنقف هنا قليلاً. من المهم أثناء قراءتنا المتفحصة لأي مقال أن ننسب للإحصائيات والنسب المعروضة وتاريخ أخذها. وكما نلاحظ أن الوارد هنا يعود لعام ٢٠٠٥. ومن المنصف لي ولكم أن نبحت عن الإحصاءات الأحدث، لوجود فارق يقارب ١١ سنة بين بيانات المقال ووقت كتابة هذا المقال. وقد بحثت عن البيانات الأحدث من ذات المؤسسة التي اعتمد عليها الكاتب وهي (نيوزويك) ووجدت إحصائية لذات الموضوع نشرت بتاريخ ١١-٣-٢٠١٥. وكان العنوان الرئيسي للإحصائية يقول: «تراجع عام للإيمان لكل الأحزاب السياسية في دولة الدين أمريكا»، وهذا العنوان يؤكد أن